اليوم

«لملك عبدالله بن عبدالعزيز «رحمه الله

الملف السياسي
الجمعة ١٢ / ٠٢ / ٢٠١٦ ٠٣:٠٠

على مدى أسبوع كامل، شهدت العاصمة الرياض، أنشطة الدورة الثلاثين، المهرجان الثقافي للتراث والثقافة، وكان البرنامج الثقافي الأبرز باستمرار الذي انيط بالحرس الوطني مسؤولية الاشراف عليه ومتابعته. سجل المهرجان - بعقد هذه الدورة - اثنين وثلاثين عاما من العطاء، مجسدا حضوره بقوة كجسر للتواصل بين الثقافات، محليا وعالميا، ففي هذا العام شارك في المهرجان من خارج المملكة ما يربو على مائة وخمسين عالما ومفكرا، قدم بعضهم أوراقا ومداخلات قيمة. المناخ العام للمهرجان في هذه السنة، بدا مختلفا عن الأعوام السابقة، فقد اختلط فيه الحزن والأسى، بالرجاء والأمل، فقبيل عام من هذا التاريخ، رحل عنا مؤسس مهرجان الجنادرية، وراعيه منذ تأسيسه، حتى رحيله - يرحمه الله - قبل عام إلى جنة الخلد - بإذن الله تعالى - الملك الراحل عبدالله بن عبدالعزيز، الذي أناط للحرس الوطني مسؤولية الإشراف على المهرجان، وإدارة ومتابعة نشاطاته. لقد رحل عنا، الملك عبدالله بن عبدالعزيز، قبل عام في وقت كان المهرجان يتهيأ فيه لاستقبال ضيوف المهرجان، فكان من نتائج ذلك ان تأجل انعقاد المهرجان عاما آخر. اعتاد - يرحمه الله - أن يستقبل ضيوف المهرجان اكثر من مرة كل عام، كان يستقبلهم في حفل الافتتاح، ومرة أخرى يلتقي بهم في قصره، حيث تجري الأحاديث في دفء وود. وبدهي أن تكون ذكراه وسيرته العطرة، حاضرتين، وفي مقدمة البرنامج الثقافي للمهرجان، فكان تكريس اليوم الأول، من هذا البرنامج للحديث عن سيرته العطرة. وأول ما حضر في مناقشات تلك الندوة، شخصية الملك الراحل الفذة، التي اتخذت من الوسطية والحوار

منهجا وطريقة للعمل. كان انطلاق المهرجان الوطني للثقافة والتراث، قبل اثنين وثلاثين عاما، نقلة نوعية على طريق بناء الجسور بين المفكرين والمثقفين العرب. وخلال ثلاثة عقود، زار المملكة مئات من القامات الفكرية العربية، مشاركين في هذا المهرجان، ولم تكن دعوتهم للمشاركة مبنية على ولاءات أو اصطفاف أو تأييد، بل على معايير فكرية بحتة، هدفت إلى تحقيق التفاعل والتلاقح بين رؤية المثقفين السعوديين، والمثقفين الآخرين، القادمين من مختلف أصقاع الأرض. فالمهرجان - كما يوحي عنوانه - يهتم بالتراث والثقافة، ما يعني أهمية حضور الذاكرة التاريخية، وتواصل الجديد بارثه الايجابي القديم، حيث لا يكون الحاضر مقطوعا عن الماضي، وانما هي سلسلة ممتدة وتراكما واستمرار في الموروث والثقافة، وما انجزته هذه البلاد التي شرفها الله لخدمة الحرمين الشريفين من منجزات وابداعات. العنصر الآخر، هو ان بلادنا عاشت عقودا طويلة بمعزل عن المناخ الثقافي العربي العام، وعن تيارات الفكر الانساني، وقد أوجد ذلك صورة نمطية سلبية عن هذه البلاد، رغم التطورات الهائلة التي أخذت مكانها على كل الأصعدة. فصار تأسيس البرنامج الثقافي للمهرجان منذ البداية محورا رئيسا في انشطة المهرجان، وعنصر تجسير وتقريب بين ثقافتنا بعناوينها المعروفة المستمدة من موروث البلاد والثقافة العربية بكل تجلياتها. صحيح أن معظم هؤلاء الذين شاركوا في المهرجان قد حملوا صورة نمطية، أقل ما يقال عنها : إنها غير إيجابية عن البلاد وأهلها، وبشكل خاص في المجالين الفكري والثقافي، وأنهم فوجئوا بمشاهداتهم، على صعيد التطور الهائل الذي حدث في البلاد خلال العقود الخمسة المنصرمة، بحيث يمكن القول بحق: إن بلادنا، باتت من أكثر البلدان العربية، تطورا في في هياكلها وبنيتها التحتية، كما صدموا - بما لم يكن في حسبانهم - بوجود مفكرين ومثقفين وأدباء وفنانين مبدعين، على كل الأصعدة. وكان ذلك أول إنجاز سعودي حقيقي كبير، على طريق بناء جسور التواصل الحضاري والفكري، بين المملكة والعالم الخارجي، لكن الهدف من ذلك لم يكن تصحيح الصورة النمطية السلبية عن المملكة، بل البناء على ما تحقق من التفاعل، من أجل إثراء هذه الثقافات، والإسهام في بناء التلاقح الحضاري. وفي ظل الانهيارات التي تمر بها المنطقة، واستفحال ظواهر الإرهاب والتطرف، حضرت بقوة لدى من شاركوا في الحديث عن سيرة الملك الراحل، مقولته الفذة : "إن الانسان قد يكون سببا في تدمير هذا الكوكب بكل ما فيه، وهو قادر ايضا على جعله واحة سلام واطمئنان، يتعايش فيه اتباع الأديان والمذاهب والفلسفات، ويتعاون الناس مع بعضهم البعض فيه باحترام، ويواجهون المشكلات بالحوار لا بالعنف. إن هذا الانسان قادر على أن يهزم الكراهية بالمحبة، والتعصب بالتسامح، وأن يجعل جميع البشر يتمتعون بالكرامة، التي هي تكريم من الله لبني آدم أجمعين". ولا شك في أن اهتمامه - يرحمه الله - بتطوير أجهزة الإعلام، ووصول أدائها إلى مصاف أداء أجهزة الإعلام، في الدول المتقدمة، صحافة وإذاعة، وقنوات مرئية، هو جزء من حرصه على تعريف العالم بسياسة المملكة، المستندة على ثوابت دينية، وموروث ثقافي أصيل، وعلى قاعدة الحوار، والتفاعل المتبادل بين الثقافات والأمم جميعا. وكان انطلاق الحوار الوطني، بتوصية ورعاية من المغفور له - بإذن الله تعالى - الملك عبدالله، خطوة كبيرة أخرى، تضيف إلى ما أنجزه المهرجان الوطني للثقافة والحوار، ولكنه في هذا الاتجاه، موجه نحو الداخل. وقد نوقشت في منتدى الحوار الوطني، وبكل شفافية، معظم المواضيع المتعلقة بالتنمية وبناء الإنسان، وقد حرص رحمه الله، على أن يتسلم بنفسه توصيات دورات الحوار الوطني المختلفة، وأن يقابل المشاركين فيها، ويتحدث لهم عن رأيه فيها، مشجعا على المزيد من التفاعل والنقد البناء، الهادف إلى أن تأخذ المملكة مكانها اللائق بين الأمم. في دورات الحوار الوطني، نوقشت مواضيع استراتيجية، كان أولها آليات الحوار، وترصينه، وجعله منطلقا للوحدة الوطنية، وبناء المملكة، ومنذ انطلاق الحوار الوطني، نوقشت قضايا كثيرة، ذات علاقة مباشرة، بالتنمية، والتربية التعليم والأمن ومخرجاته، والقطاع الصحي، والرياضة والنهوض بالشباب، ودور المرأة كشريك أساس في بناء المجتمع، وفي كل تلك المحاور، كانت رعاية الراحل العظيم، وتشجيعه حاضرة باستمرار، وبقوة. ظل مبدأ الحوار باستمرار، الموضوع الأثير للملك عبدالله، فمن وجهة نظره أن غياب الفهم لرسالة الإسلام السمحاء، ووصف المؤمنين به بالإرهاب والتعصب، بسبب غياب فهم، روح الإسلام، ومبدأ التسامح الذي حضت عليه العقيدة. وقد رأى - يرحمه الله - أن أحد أسباب غياب فهم حقيقة الدين الإسلامي، غياب الجسور، وانقطاع التواصل بين الحضارات والأديان، ولهذا الغرض أسس - يرحمه الله - مركز الملك عبدالله لحوار الأديان، الذي اتخذ من العاصمة النمساوية فينا مقرار رئيسا له. وقد أسهم هذا المركز، بفعالية، في تحقيق التقارب بين أتباع الديانات السماوية، حيث دعي لاجتماعاته، المئات من رجال الدين والمفكرين، والمهتمين بحوار الحضارات، من مختلف بلدان العالم. ومن يومها، لم تعد الصورة الذهنية السلبية عن العرب والمسلمين، كما كانت عليه من قبل، وقد كان لذلك آثاره المباشرة، في تعزيز الحوار والتواصل بيننا وبين العالم، بما يسهم في تحقيق التفاعل الإنساني الحضاري، وبناء عالم أفضل أمنا وسلاما ومحبة. ولم تقتصر إنجازات الملك الراحل، على مجال تعزيز الحوار، كما ما ذكرنا، فقد قدم الكثير الكثير، وليس تأسيس جامعة الملك عبدالله للعلوم والتقنية، بالقرب من ينبع سوى أحد صروح التفاعل بين الأمم. فقد تعمد - يرحمه الله - أن يكون هذا الصرح العملاق، ملتقى للمتفوقين والنابغين من مختلف بلدان العالم، رافضا أن يختزل العلم في جنسية واحدة، أو أمة واحدة، أو دين واحد، محرضا على طلب العلم، ومقتديا بالحديث النبوي الشريف، الذي معناه أن طلب العلم فريضة، ولو كان في الصين. وفي هذا السياق أيضا، ثم ابتعاث مئات الألوف من الطلاب السعوديين للدراسة في الخارج، ليحصلوا على أرقى وأحدث المعارف العلمية، ومن ثم ليعودوا إلى الوطن، ليكونوا جنودا في بنائه ونمائه. وقد كان من بين أسباب ابتعاثهم - إضافة إلى التحصيل العلمي - تمكينهم من الاطلاع على ما أنجزته الحضارة البشرية، والتفاعل مع

منجزاتها، وتقريب المسافات بين أبنائنا والعالم الخارجي. ولم يقتصر الأمر، على الشباب من الذكور، بل شمل النساء، اللاتي تم الزج بهن بكثافة في عهده الميمون بكل مجالات الحياة، بما لا يتعارض مع الثوابت الدينية، والموروث الاجتماعي. فكان حضورهم القوي في الجامعات، وفي المعاهد والمدارس، وفي المستشفيات والمصارف، وفي المؤسسات الحكومية والخاصة. ووصلت المرأة في عهده - يرحمه الله - إلى مجلس الشورى، وشاركت في صنع القرار، وعملية التنمية والبناء، وكان ذلك جزءا رئيسا في التفاعل بين أبناء المجتمع، وتحقيق جسور التواصل، بما يخدم التطلع المشروع في بناء دولة عصرية وحديثة. رحل - يرحمه الله - تاركا غصة كبيرة، وحزنا عميقا لدى شعبه، لم يخفف منه، سوى تسلم الملك سلمان لمقاليد الحكم.. سلمان الذي عهده شعبه، أميرا لمدينة الرياض عدة عقود، ووزيرا للدفاع، وراعيا للخير، حيث رعى الجمعية الخيرية بالرياض. وكان دوره معروفا للجميع في التخفيف من معاناة الشعب الفلسطيني المظلوم، حيث أشرف بنفسه على جمع الترعات لدعم صمود أهلنا بالأرضي المحتلة. ولأن الحياة الإنسانية مبنية على التراكم، فطبيعي أن يواصل خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان مسيرة التنمية والبناء، معززا دور المرأة السعودية، عبر مشاركتها في انتخابات المجالس البلدية، وأيضا تعزيز مشروع سعودة الوظائف السعودية، وتنمية قدرات المملكة في مجال الدفاع والتنمية، من وعي أن المجتمع القوى هو الذي يزاوج بين تعزيز قدراته الدفاعية، ومعركة البناء، يسانده في ذلك ولي العهد، صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن نايف، وولي ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان. وكما كان موضوع الحوار حاضرا بقوة في نهج الملك الراحل، فإنه حاضر بقوة أيضا مع ملك الحزم، ففي الندوة التي كرست لمنجزات الملك سلمان خلال عام من حكمه حضرت كلماته الداعية إلى الحوار والتفاعل بين المفكر وصانع القرار، في تأكيده على أهمية تقصي الحقيقة عند الكتابة، لان الكلمة سلاح خطير، وهي أخطر عندما تتحول الى سلعة تباع وتشترى. إن النقد شيء هام، وهو ايجابي وضروري، وصاحب الرأي شخص محترم، حتى وإن اختلفنا معه في الرأي، تلك كلمات سلمان بن عبد العزيز، وتلك هي جسور التواصل.